ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

مجلة افاق للعلوم
Issn: 2507-7228 – Eissn: 2602-5345
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/351

المجلد:06 العدد: 04(2021) ص01 -10

الاِستعارة التصورية عند عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه أسرار البلاغة

Conceptual Metaphor in light of Abd El Kaher El Djerdjani through his book Asrar Albalaghah

ط د. شيماء داودي*
جامعة الوادي (الجزائر)
مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده
daoudi-chaima@univ-eloued.dz

د. سليم حمدان
جامعة الوادي (الجزائر)
hamdane-salim@univ-eloued.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
31 ماي 2021
تاريخ القبول:
06 جويلية 2021

الكلمات المفتاحية:
- ✓ اللسانيات العَرَفنِيّة؛
- ✓ الدلالة العَرَفنِيّة؛
- ✓ الاستعارة التصوريّة؛

الملخص:

تعتبر اللسانيات العَرَفنِيّة من أبرز العلوم حداثة في الساحة اللسانية المعاصرة؛ فهي تهتم بتتبع العمليات الذهنية التي تحدثها رسالة ما في ذهن متكلم اللغة وكذا سامعها, ثم القيام بتحليل وتفسير الظاهرة بآليات إدراكية, ولهذا السبب شغلت هذه التجربة العلمية تفكير العديد من العلماء العرب والغربيين, ولعل أهمهم"جورج لايكوف" و "مارك جونسون" اللذين عُرفا ببحثهما العلمي الذي يصب في عمق اهتمامات اللسانيات العَرَفنِيّة, وهو "نظرية الاستعارة التصورية", وقد دعانا الشغف العلمي لفهم هذه النظرية ومحاولة التنقيب عن ملامحها في تراثنا البلاغي وبالتحديد عند عبد القاهر الجرجاني الذي عُرف باهتمامه الكبير لمبحث الاستعارة وما يدور في فلكها من مفاهيم, واخترنا كتابه "أسرار البلاغة" كمادة للبحث, على ضوء ما قيل تتمحور لدينا أسئلة نصوغها على هذه الشاكلة: ما مفهوم اللسانيات العَرَفنِيّة؟ وماذا تعني نظرية الاستعارة التصورية؟ وكيف تجلت ملامح هذه النظرية عند عبد القاهر الجرجاني؟.

Article info

Received
31 May 2021
Accepted
06 July 2021

Keywords:
- ✓ *Cognitive linguistics,*
- ✓ *Cognitivesemantics,*
- ✓ *conceptual metaphor*

Abstract :

Cognitive linguistics is one of the famous modern sciences in the field of contemporary linguistics. It focuses on the mental activities brought about by a certain message in the speaker's and the listener's minds, and then analyses and explains the phenomenon through cognitive mechanisms. That is why this scientific experiment got Arab and Western scientists' interest mainly "George Laikof" and "Mark Johnson" who are known for their research which serves the cognitive linguistics; it is the theory of conceptual metaphor. The scientific passion pushed us to understand this theory and try to find its traits in our rhetorical heritage, especially in the writings of "Abd El Kaher El Djerdjani" who is known for his research in metaphor and its concepts. We chose the book "AsrarElBalaghah", as a case study. In the light of what has been said, the following questions arise: What is cognitive linguistics? What does the theory of conceptual metaphor mean? And what are its manifestations in Abd El Kaher El Djerdjani writings?

* المؤلف المرسل

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مقدمة:

تشهد الساحة المعرفيّة زخما هائلا من العلوم التي تسعى لفهم التفكير البشري و آلية عمله, إذ إنّ كلّ علم موجود في الواقع هو نتاج فكر ما مهما تنوعت مشاربه و قضاياه,فقضية الفكر قد شغلت العلماء منذ أمد بعيد إلى حدّو قتنا الراهن,فكلما ظهرت نظرية ما للوجود و حاولت فهمه- الفكر- إلاّ و أتت أخرى تدحضها أو تكمل نَقصها,ولا طالما كانت مسألة الفكر مرتبطة ارتباطا وثيقا بقضية جوهرية لا تقل أهمية عنه, و هي مسألة اللغة , فلم تكن هذه الأخيرة بمنأى عن التطورات المعرفيّة التي تعجّ كتب الفلاسفة و الأدباء , بل وصل موضوع الاهتمام بقضايا اللغة إلى العلوم العلمية و التقنية , كالرياضيات و علم الأعصاب و علم الحاسوب , و غيرها من العلوم الأخرى , و هذا ما أدى إلى بروز عدّة نظريات جديدة تهتم بمعالجة الظاهرة اللغوية و قضايا اللغة عامّة, و لعل أهمها اللسانيات العَرْفَنيَّة التي تستنجد بالعلوم المعرفيّة آملة أن تفك مغاليق و تساؤلات اللغة في علاقتها مع الذهن بآليات لغوية معرفيّة .

1- مفهوم اللسانيات العَرفنية(Cognitive Linguistics):

انبثقت اللسانيات العَرْفَنِيَّة* بوصفها فرعا من فروع العلوم العَرْفَنِيَّة** يعمل على معالجة اللغة بوصفها نظاما ذهنيا,فهي-اللسانيات العَرْفَنِيَّة - تبحث في " العمليات الذهنية الجارية أثناء استيعاب الواقع, وفهمه, و بالتالي إدراكه بالوعي, و تبحث كذلك في أنواع أشكال تمثيلها العقلي,و تعد اللغة مادة التحليل الإدراكي"[1] لترتكز الدراسة العَرْفَنِيَّة على معرفة آليات اشتغال الدماغ مع المعاني التي يستقبلها و كيفية فهمه و اختزانه لها,و كذا طريقة استدعاء الذهن لتلك المعلومات حين الحاجة لها.

فقد اعتبرت اللسانيات العَرْفَنِيَّة اللغةَ " فرعا من الذهن,لا نشاطا منظوميا منفصلا مجتزأ يمكن اعتبارها مستقلة عن سائر الأنشطة العرفنيّة"[2] فاللغة في هذا التصور ليست كما كانت عليه من قبل,فقد أُعتبرت اللغة في عهد ديسوسير و من تبعه نظاما مستقلا على عكس ما هو الحال في هذا الفرع اللساني الحديث الذي ينظر للغة كبنية منبثقة من الذهن,فالعمليات اللغوية ما هي إلا عمليات و تصورات ذهنية محضة.

أوجز الزناد تعريفا للسانيات العَرْفَنِيَّة,إذ اعتبرها تيارا (مدرسة)لسانيا حديث النشأة,يقوم على دراسة العلاقة بينااللغة البشرية و الذهن و التجربة بما فيها الاجتماعي و المادي البيئي[3],فالتجارب الحياتية عامة ما هي إلا عَرفَنَة خاصة بمجتمع ما أو فرد ما,تتجسد في اللغة و تنطبع هذه الأخيرة في شكل تصورات ذهنية لنظام عَرفني ما داخل الدماغ البشري.

حاولنا من خلال هذه التعريفات تقريب مفهوم اللسانيات العَرْفَنِيَّة و لو بشيء بسيط,كونها المجال الخصب الذي أنتج لنا مفهوم الاستعارة التصورية و بلوره.

2- مبادئ اللسانيات العَرْفَنِيَّة:

لقد أوجز العرفنيون مبادئ اللسانيات العَرْفَنِيَّة في مبدئيين عامّين يمسان صميم البحث العرفني هما[4]:

- **التزام التعميم**:و يقصد به أن غاية اللسانيات الإدراكية هي أن تعالج اللغة ليس على قاعدة التجزيء الأفقي لأنظمتها كما تفعل اللسانيات الشكلية , و إنّما على أساس المقاربة الكلية الرأسية التي تشمل الصوتيات و الصرفيات و التركيبات و في قمة الاهرمالدلاليات, فاللسانيات الإدراكية تركز على الثوابت الإدراكية؛ أي على ما هو عام بين جوانب اللغة, و ذلك قياسا على طريقة عمل البيولوجيا حيث يعاد استعمال البنى الموجودة من أجل القيام بأغراض جديدة.

فاللسانيات الإدراكية بهذا المبدأ قد حققت هدفين هما:

-كل مستويات اللغة تتشارك فيما بينها خدمة للوصول إلى الدلالة المقصودة , و لا يوجد أفضلية مستوى لغوي على آخر كما كان معهودا في اللسانيات التشومسكية من قبل, و التي أولت العناية التامة بالمستوى التركيبي على حساب باقي المستويات.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- إعادة الاهتمام بالمستوى الدلالي الذي لم يلق العناية الكافية عند التوليديين.

- **الالتزام الإدراكي/ العَرْفَني**:و يعني أنّ اللسانيات الإدراكية ملتزمة بأن تقدم تشخيصا للمبادئ العامة للغة التي تتطابق مع ما هو معروف عن العقل و الذهن في علوم أخرى , فمبادئ البنية اللغوية ينبغي لها أن تعكس ما هو معروف عن الإدراك الإنساني , و من ثم فإن النظرية اللسانية لا ينبغي لها أن تحتوي على بنى أو عمليات تخرق الخصائص المعروفة عن نظام الإدراك البشري.

3- نظرية الاستعارة التصوريّة***((Conceptual Metaphor Theory(CMT)):

لا يمكننا فهم نظرية الاستعارة التصوريّة دون الوقوف عند مفهوم **الدلالة العَرْفَنِيَّة** (Cognitive semantics),فكما نعلم أن الاستعارة قبل كل شيء هي بنية دلالية تصوريّة,إذ ترمي الدلالة التصوريّة إلى "بلورة أنموذج عام يحاول مقاربة كيفية حصول المعاني و ما يحفزها,وذلك انطلاقا من خصوصيات الإدراك البشري و عوامل التجربة التي تعمل فية. كما تدرس الدلالة المعرفية الأنسقة التصورية,والمعنى,والاستنتاج.إنها تدرس إجمالا التفكير البشري"[5] فهي تسعى إلى بناء نظرية تمكننا من الفهم السليم للمعنى مرتكزة في ذلك على مفاهيم و أسس إدراكية متفاعلة مع المحيط الخارجي,فموضوعها الذهن البشري عامة و كيف يفهم متحدث اللغة المعنى المقصود و كيف يمكنه تفكيكه.

كما تقوم الدلالة العَرْفَنِيَّة على أربعة **مبادئ هي**:[6]

- **البنية التصوريّة بنية مجسدة:**

يهتم الدلاليون المعرفيون باستكشاف طبيعة التفاعل البشري مع العالم و طبيعة الوعي به,فالبناء التصوري نابع من التجربة الجسدية.

- **البنية الدلالية هي البنية التصورية:**

يعني ذلك أن البنية الدلالية يمكنها أن تعادل البنية التصوريّة,ولا يعني أن البنيتين متطابقتان.

- **تمثيل المعنى موسوعي:**

البنية التصوريّة ذات طبيعة موسوعية.و هذا يعني أن الكلمات لا تمثل مجموعات واضحة من السمات.كما في التصور القاموسي,بل تعتبر بمثابة قنطرة مرور إلى خزان واسع من المعرفة المرتبطة بتصور أو مجال تصوري معين.

- **بناء المعنى هو بناء التصورات:**

إن المعنى سيرورة و ليس معطى منفصلا موجودا في وحدة لغوية معينة.إنه بناء يمتح من المعرفة الموسوعية.و يقتضي استراتجيات استلزامية ترتبط بمختلف مظاهر البنية التصوريّة.

كانت هذه أهم المبادئ المشكلة للدلالة العَرْفَنِيَّة في ضوء اللسانيات العَرْفَنِيَّة و التي من خلالها يمكننا أن نفهم ماهية الاستعارة التصورية لارتباط هذه الأخيرة ارتباطا وثيقا ببنية الدلالة التصوريّة.

4- الاستعارة التصوريّة (Conceptual Metaphor):

قام كتاب الاستعارات التي نحيا بها(Metaphors we live by) لصاحبيه جورج لايكوف(George Lakkof) و مارك جونسون (Mark Johnson) بثورة جذرية على مفهوم الاستعارة الكلاسيكية التي " ترى أن العقل يقوم على الحقيقة(المعنى الحرفي) و مجاله القضايا التي تقبل الصدق و الكذب بصفة موضوعية ولكن الفكرة الحديثة الجديدة تأخذ مظهر التخيل (المجاز) في العقل (الاستعارة و المجاز المرسل و التصوير الذهني) باعتباره مكونا مركزيا من مكونات العقل لا مكونا زائدا ينضاف إلى الحقيقة"[7] فالاستعارة بمفهومها الجديد تخرج من حيز اللغة لتصبح جزءا لا يتجزأ من نظامنا التصوري فهي فطرة و ملكة إنسانية, فبظهور اللسانيات العَرْفَنِيَّة

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

تحولت ماهية الاستعارة تحولا جذريا,لتنتقل من كونها استعارة ذات طبيعة لغوية إلى استعارة ذات طبيعة تصوريّة فهي آلية ذهنية تمس جميع الخطابات و السلوكات و المجالات الحياتية . تُعرف الاستعارة التصورية بأنّها"عملية فهم لميدان تصوري ما (Conceptual Domain)عن طريق ميدان تصوري آخر حيث يمكن إيجازها كالتالي:

- الميدان التصوري(أ)هو الميدان التصوري(ب)وذلك مثل فهم الحياة عن طريق الرحلة و الجدال عن طريق الحرب,والحب عن طريق النار.حيث يُسمى الميدان الأول ميدانا هدفا(Target Domain)والميدان الثاني ميدانا مصدرا(Source Domain)"[8],فبنية الاستعارة التصورية تقوم على مجالين تصوريين أحدهما يُسمى المجال المصدر و عادة ما يكون لدينا عنه معرفة خلفية مُسبقة و آخر المجال الهدف و هو الذي تتجسد الاستعارة التصوريّة من خلاله " فمثلا في استعارة (الحب رحلة) فإننا نتعامل مع الحب باعتباره رحلة,له طريق و أمكنة و محطات و بداية و نهاية,بمعنى أننا نستعمل ترسيمة الميدان المصدر و هو الرحلة لفهم الميدان الهدف وهو الحب"[9]. ففي أذهاننا لدينا علم مسبق بمفهوم الحب كونه مشاعر و أحاسيس إيجابية و لكن الجديد الذي طرأ على أذهاننا مفهوم الحب =الرحلة. هذا هو التصور الاستعاري المبَنيَن انطلاقا من مفهوم لغوي كامن داخل الدماغ.

5- أسس نظرية الاستعارة التصويرية:

تُؤَسس نظرية الاستعارة التصوريّة على تلك الأسس المماثلة التي قام عليها النحو التوليدي وهي:[10]

- **الموقف الذهني/النفسي:**

تندرج الاستعارة التصوريّة في هذا الاطار,وذلك لانطلاقها من مسلمة ذهنية مفادها أن المعنى في اللغة الطبيعية بنية معلومات مرمزة في الذهن البشري,أو هو تمثيل ذهني.

- **مبدأ التأليفية:**

قدرة متكلمي اللغة على خلق عدد لا محدود من الأقوال و فهمها,انطلاقا من التأليف بين عناصر محدودة العدد,تبعا لمبادئ معينة أو قواعد.و عندما نضع التأليفية في إطار الموقف الذهني من موضوع اللغة يتطلب ذلك رصد عنصرين:

لائحة محدودة من العناصر البنيوية الصالحة للتأليف(المعجم) .

مجموعة محدودة من المبادئ و القواعد للتأليف بين العناصر(النحو).

- **مبدأ الإبداعية:**

تتمثل في خلق و إبداع مشابهات و تصورات جديدة تعطي لفئات من تجاربنا بنيات مشتقة,فهي ترتبط بالتصور البنائي الذي يرى أن المعرفة نتيجة بناء ذهني,و أن اللغة و الإدراك و المعرفة أشياء تابعة لبعضها بشكل قابل للانفصام,فالمعنى في هذا التصور يبنى عوض أن يكتشف, و للاستعارات قدرة على خلق واقع جديد,وذلك عندما نأخذ في فهم تجربتنا أو الإحالة عليها من خلال الاستعارة.

- **تشاكل الظواهر اللغوية:**

تتشاكل الظواهر اللغوية بعضها ببعض نفسها الطريقة التي تتشاكل بها اللغة و المعرفة سعيا نحو إدراك العالم.

- **عضوية المعنى:**

إن الجسد/الذهن البشري هو الذي يمنحنا الأسس التي تمكننا من فهم مضامين كثيرة,فيصبح المعنى كيانا مجسدا يُبنى داخليا,أي بلغة داخلية لها أسسها الإحيائية,وهذا يعني أن المعنى يتأسس في إطار التجربة الإنسانية التي تتقاسمها التجربة الجسدية و الذهنية.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- **عقلانية بنية التصورات:**

دافع جورج لايكوف و مارك جونسون عن وجود صلات بين الأفكار و التصورات الاستعارية,فالاستعارة التصوريّة السعادة فوق تستخدم مجموعة من الأوليات الصغيرة للدلالة على التصور الاستعاري,علما أن الاستعارة التصورية هي علاقة بين مجالين دلاليين, فالمجال الأول,فهو مجال ملموس, ويتلخص في الاتجاه فوق,والمجال الثاني,هو مجال مجرد و يتمثل في السعادة, فمجال المصدر يكون ملموسا عادة, عكس مجال الهدف الذي يكون مجرد عادة,و يقال أن الأفكار و المعارف في المجال المصدر يتم تعيينها على المجال الهدف عن طريق الاستعارة التصوريّة.

6- أنواع الاستعارة:

ننتقل إلى أنواع الاستعارات بحسب نظرة لايكوف و جونسون فنجدها مقسمة إلى ثلاثة أنواع هي:

- **الاستعارة الاتجاهية** Orientational Metaphor:

يرتبط هذا النوع من الاستعارة بالاتجاه الفضائي و الذي تجسده ثنائيات من قبيل(فوق/تحت,أمام/وراء,داخل/خارج) في علاقتها بكيفية اشتغال أجسادنا في المحيط الفيزيائي الذي نعيش في, و هذا النوع من الاستعارات كونه ينظم نسقا كاملا من التصورات المتعالقة[11],و كمثال يبين ذلك:

- السعادة فوق,و الشقاء تحت:
- إنني في قمة السعادة.
- إنّه يغوص في الشقاء[12].

- **الاستعارة البنيوية** Structural Metaphor:

مفاد هذا النوع من الاستعارات بحسب الباحثين" أن نبنين تصورا ما استعاريا بواسطة تصور آخر"[13]فهي تبدأ من نسق تصوري معين ثم تعيد بناءه في نسق مختلف,لأنها"تتأسس على ترابطات نسقية داخل تجربتنا"[14]و قد مثّلا الباحثان على هذا النوع من الاستعارات بمثال(الزمن مال) و وضحّا كيف أنه يبني تجاربنا اليومية ففي ثقافتنا يتجلى الزمن مال بطرق مختلفة: في التسعيرات التلفزيونية,و أجور الساعات,و تسديد الدين الذي ندين به لمؤسسة ما.فنتصرف كمل لو ان الزمن شيئا نفيسا و موردا محدودا,كما لو كان مالا,فإننا نتصور الزمن بهذه الطريقة.وبهذا نفهم الزمن و نعيشه باعتباره شيئا يُستهلك و يُصرف و يُقاس و يُستثمر بصورة جيدة أو سيئة,و يتم توفيره أو تضييعه[15],وهذا التصور ليس ضرورة حتمية أن ينطبق على جميع الثقافات, فلكل ثقافة نسقها الاستعاري الخاص وذلك راجع لتجذرات التجار باليومية الخاصة بثقافة ما, وما هذه الأخيرة إلاّ وجه من وجوه التصور الاستعاري.

- **الاستعارة الأنطولوجية** Ontological Metaphor:

يسمح هذا النوع من الاستعارات بفهم تجاربنا عن طريق الأشياء و المواد و هذا الفهم يسمح لنا باختيار عناصر تجربتنا و معالجتها باعتبارها مواد من نوع واحد.و حين نتمكن من تعيين(identify)تجاربنا يصبح بوسعنا الإحالة عليها و مَقْوَلَتها**** (categorize)وتجميعها وتكميمها,وبهذا نعتبرها أشياء تنتمي إلى منطقنا[16].

يحاول هذا النوع من الاستعارات أن تجعل الجمادات ذواتا لكي يكون من السهل علينا إخضاعها للنظام التصوري الذي يسري على جميع الكائنات."أي أنها تعطينا طرقا للنظر إلى الأحداث و الأنشطة و الإحساسات و الأفكار...إلخ,باعتبارها كيانات و مواد"[17].و لتوضيح هذه الفكرة قد قدم الباحثان مثالا يخص تجربة ارتفاع الأسعار التي يمكن أن تعتبر استعاريا كيانا نسميه(التضخم),وبهذا وجدا طريقة للتدليل على هذه التجربة:

التضخم كيان[18]:

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- إن التضخم يخفض مستوى عيشنا.
- إذا تفاقم التضخم لن نتمكن من العيش.
- يجب محاربة التضخم.
- يلتهم التضخم جزءا كبيرا من عائداتنا.

فقد جعلت الاستعارة الأنطولوجية من مفهوم التضخم ذاتا متمثلة في وحش ينقض على حياتهم الاقتصادية فيخربها. و لذلك تمكنا من"الإحالة عليه, وبتكميمه,وبأن نعين جزءا خاصا,وبأن نرى فيه سببا,وبأن نتصرف بحيطة إزاءه, وربما بأن نعتقد أننا نفهمه, فاستعارات أنطولوجية كهاته ضرورية في محاولتنا تقديم تحليل عقلاني لتجاربنا"[19],إنها تقرب الواقعة بطرية تجريبية حية ,إنّها استعارة واقعية.

كانت هذه اطلالة مختصرة لما قدمه جورج لايكوف و مارك جونسون بخصوص أنواع الاستعارات التصورية في كتابيهما الاستعارات التي نحيا بها, و سنحاول في النقطة الموالية اسقاط الفكر الاستعاري للباحثين على ما قدمه عبد القاهر الجرجاني من أفكار حول الاستعارة في كتابه أسرار البلاغة.

7- الاستعارة التصوريّة عند الجرجاني:

يعتبر الجرجاني من أبرز البلاغيين الذين أولوا العناية الكبيرة لمبحث الاستعارة , فقد أوضح العديد من المفاهيم التي تخص هذا المجال , و كشف العديد من أسراره لذلك ارتأينا أنا نسقط مفهوم الاستعارة التصوريّة بحمولتها المعرفية الجديدة على ما يمكننا أن نكتشفه عند الجرجاني في هذا الميدان,عسى أن نجد ما يُقال و يُدرس.

يقول الجرجاني عن الاستعارة:"اِعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون اللفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وُضِعَ , ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل و ينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعَارِيَّة"[20] فهي نقل للفظ من معناه اللغوي المعروف إلى معنى آخر غير معروف حتى هذا الحد الجرجاني لم يخرج عن نطاق سابقيه في تعريف الاستعارة إلاّ أننا نستشف تقاطعا مع التصور الجديد للاستعارة و هو كون الجرجاني لم يقتصر استعمال الاستعارة على المجال الأدبي فقال أنها تُستعمل من طرف الشاعر و غيره أي أنها موجودة في الحياة اليومية,فكما رأينا سابقا كون الاستعارات حسب لايكوف و جونسون " لا تنطبق فحسب على التعبيرات الشعرية الجديدة , بل على كثير من اللغة اليومية المعتادة "[21]وهي تلك **الاستعارات المستخدمة في الحياة العادية** و التي تكون بعيدة كل البعد عن الاستعارات التي يتغنى بها الشعراء و الأدباء في كتاباتهم, و بهذا أثبت الجرجاني نفس فكرة لايكوف و زميله و التي كانت البذرة الأولى لتحول الاستعارة و هي خروج الاستعارة من بوتقة الزخرف و التنميق الأدبي.

أمّا عن **الموقف الذهني/النفسي** الذي نجده في نظرية الاستعارة التصوريّة, فلعله متجسد في معرض قول الجرجاني عن الاستعارة المعنوية:"ضربٌ من التشبيه,ونمط من التمثيل, والتشبيه قياس, والقياس يجري فيما تعيه القلوب و تدركه العقول.وتُستَفتى فيه الأَفهامُ و الأذهان,لا الأسماع و الآذان"[22]فالاستعارة بهذا المفهوم بعيدة كل البعد عن كونها ظاهرة لغوية كما كان معروفا في نظرية الاستعارة الكلاسيكية,بل هي موقف عقلي/ذهني/نفسي حيث تتشكل الاستعارة انطلاقا من عمليات نفسية و ذهنية مرتبطة بالعالم الخارجي.

كما يمكننا اكتشاف تقاطع آخر مع أحد مبادئ الاستعارة التصوريّة و المتمثل في **عقلانية بنية التصورات** و ما يحمله من مفاهيم,وذلك في قول الجرجاني:"ضربٌثالثٌ,وهو الصميم الخالص من الاستعارة و حدّه أن يكون الشبه مأخوذا من الصُّور العقلية و ذلك كاستعارة النور للبيان و الحجة الكاشفة عن الحق المزيلة للشك النافية للريب [...]فليس الشبه الحاصل من النور في البيان و الحجة و نحوهما,إلا أن القلب إذا وردت عليه الحجة صار في حالة شبيهة بحال البصر إذا صادف النور,و وُجِّهت طلائعه نحوه,و جال في مَصَارفه و انتشر[...]و هذا كما تعلم شَبَهٌ لستَ تحصل منه على جنس و لا على طبيعة و غريزة, و لا على هيئة و صورة تدخل في الخِلقة, و

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إنّما هو صورة عقلية."[23]فالعلاقة بين الأفكار و التصورات هي علاقة المجال الدلالي المصدر و هو النور كمجال مصدر و ما يحمله من دلالات كالشعاع و الضياء, و كذا التصور الاستعاري الحجة كمجال دلالي هدف و هو مجال مجرد و يتم تشكيل مفهوم جديد بين المجال المصدر و المجال الهدف عن طريق الاستعارة التصورية.

8- فكرة فهم المجردات انطلاقا من المحسوسات:

في هذا الشأن تكلم الجرجاني عن فكرة تقريب المعنى عن طريق فهم المجردات عن طريق المحسوسات, فجعل هذه الخاصية ميزة سامية للاستعارة فقال:"و من الفضيلة الجامعة فيها أنّها تبرز هذا البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قَدرَه نُبلا,و توجب له بعد الفضل فضلا,إنّك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائد"[24]ثم واصل حديثه عن الاستعارة ليصل لبيت القصيد الذي نبحث عنه فقال: "فإنّك لترى بها الجماد حيًّا ناطقًا, والأعجم فصيحًا, و الأجسامَ الخُرسَ مُبينة,و المعاني الخفيّة باديةً جليّةً, و إذا نظرتَ في أمر المقاييس وجدتها و لا ناصر لها أعزُّ منها, و لا رونق لها ما لم تَزِنها, و تجدُ التشبيهات على الجملة غير مُعجِبَةٍ ما لم تكُنْها.إن شِئْت/أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل,كأنها قد جُسِّمت حتى رأتها العيون, و إن شئت لطَّفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود رُوحانية لا تنالها إلا الظنون."[25] فهي بهذا المفهوم آلية ذهنية تعتمد على الجمع بين الصورة الذهنية(المفهوم الذهني و هو الحجة) و الصورة الشكلية(المفهوم الحسي و هو النور) ليصل المعنى المنشود لذهن السامع, و لتوضيح هذه النقطة أكثر نُدلي بمثال تكرر عدة مرات في الكتاب وهو"استعارة النور للبيان و الحجة,فهذا شبهٌ أُخذ من محسوس لمعقول,أ لا ترى أن النور مشاهدٌ محسوس بالبصر,و البيان و الحجة مما يؤديه إليك العقل من غير واسطة من العين أو غيرها من الحواس.وذلك أن الشبه ينصرف إلى المفهوم من الحروف و الأصوات,و من مدلول هو الذي ينوّر القلب لا الألفاظ"[26]ففي هذا المثال هنالك مفهومين أحدهما هو المفهوم الذهني (الحجة) والآخر مفهوم حسيو هو (النور),و قد شكل كل منهما الصورة الاستعارية بطريقة ذهنية.

وبحسب النظرة الجديد للاستعارة فهي موجودة في كل مجالات حياتنا اليومية,بل تتحكم في جميع أفكارنا و تعاملاتنا,وهذا ما نجده متمثلا في قول الجرجاني عن مكانة الاستعارة في حياتنا

" كأن جلّ محاسن الكلام - إن لم نقل كُلّها - متفرعة عنها, وراجعة إليها"[27]فهذا القول إقرار واضح بأن الاستعارة موجودة بالقوة لا بالاختيار,فهي تكتسح كل أقوالنا و أفكارنا,لأن **نسقنا التصوري استعاري بطبعه,**فالاستعارة " تؤسس أنظمتنا التصورية,و تحكم تجربتنا الحياتية,وهذا ما يعني أن الاستعارة في جوهرها ذات طبيعة تصورية عكس اعتقاد عدد كبير من الناس الذين يرون أن الاستعارة خاصية لغوية تنصب على الألفاظ وليس على التفكير أو الأنشطة"[28]فموقع الاستعارة هو الذهن لا اللغة,فهذه الأخيرة متطبعة بالاستعارة عُرفِيا بديهيا,لتصبح الاستعارة بهذا التصور هي الحيز الذي يشمل اللغة لا العكس فمن قبل كانت دائرة اللغة أشمل من دائرة الاستعارة و ما الاستعارة إلا جزء من أجزاء اللغة ,لكن الآن تغير مفهوم المجال الاستعاري,و يمكن توضيح ذلك في الرسم التالي:

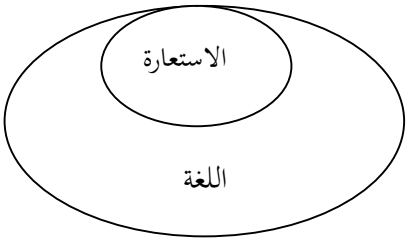

موقع الاستعارة في النظرية الكلاسيكية

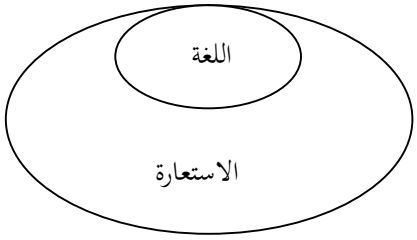

موقع الاستعارة في النظرية التصوريّة الجديدة

"الاستعارة بين النظرية الكلاسيكية و النظرية التصورية الجديدة"

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

خاتمة:

في نهاية هذه الورقة البحثية توصلنا لنتائج أهمها:

- اللسانيات العَرْفَنِيَّة مبحث لغوي جديد يهتم بفهم الظاهرة اللغوية في علاقتها باشتغال الدماغ, ساعية في ذلك للوصول إلى نتائج لم يُتوصَّل إليها في النظريات اللغوية السابقة, و رغم ذلك فهي علم جديد لازالت النظريات تبرز فيه, بل لم تكتمل قواعده لحد الساعة, فكلما بحث العرفانيون ظهرت أسس و نظريات جديدة تدعم هذا الطرح العلمي.
- من أهم الأفكار التي أتى بها كل من جورج لايكوف و مارك جونسون في نظرية الاستعارة التصوريّة:
- الاستعارة التصوريّة نظرية عَرْفَنِيّة قلبت موازين الفكر الاستعاري الكلاسيكي, عن طريق الفهم الجديد لنسقنا التصوري, إذ أصبح هذا الأخير نسقا تصوريا استعاريا بالأساس, و لم تعد الاستعارة ظاهرة لغوية بل أضحت الاستعارة آلية تحكم نسقنا التصوري و ما اللغة إلا وجه من وجوه تجلياتها.
- الاستعارة التصوريّة لم تعد مقيّدة في الخطابات النخبوية الأدبية الإبداعية بل أمست حاضرة و متغلغلة في خطاباتنا اليومية دون أن نشعر بذلك أو ندرك.
- لم تبق الاستعارة رهينة أقطاب معينة كالمشبه و المشبه به ووجه الشبه,بل صار يحكمها جالين دلاليين تصوريين هما المجال المصدر و المجال الهدف.
- كما تمثلت الاستعارة التصوريّة عند الجرجاني في:
- تنبهه للصورة الذهنية النفسية و دورها في بناء التصور الاستعاري من خلال حديثه عن الادراك العقلي للصورة الاستعارية.
- استطاع الجرجاني أن يتعرف على الاستعمالات الحقيقية للاستعارة,فهي لا تقتصر على فئة الشعراء و الأدباء-كما كان متوارثا من قبل-بل هي ملك للذهن البشري مهما كانت طبقته العلمية,لذلك يستطيع استعماله الشاعر والعاميّ.
- أشار الجرجاني لفكرة تمثيل المجردات انطلاقا من المحسوسات التي أقرها لايكوف وجونسون في معرض حديثهم عن دور الاستعارة المتمثل في نقلنا من عالم المعنويات إلى عالم الماديات.
- تفطن الجرجاني لماهية نسقنا التصوري حين تحدث عن مكانة الاستعارة في حياتنا,إذ جعلها لازمة من لوازم التفكير البشري و هي بهذا النمط تجعل من النسق التصوري استعاريا بطبعه.
- عرفنا من خلال هذا البحث أن نظرية الاستعارة التصوريّة أحدثت ثورة كبيرة في مجال اللسانيات العَرْفَنِيَّة,و رغم ذلك مازال البحث جاريا في هذا المجال,و لازالت الدرر فيه مكنونة.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

المصادر و المراجع:

1-الأزهر الزناد:

- النص و الخطاب مباحث لسانية عَرْفنيّة, دار محمد علي للنشر, ط1, 2011.

-نظريات لسانية عرفنية, دار محمد علي للنشر, منشورات الاختلاف, تونس, دط, 2009.

2-توفيق قريرة, العرفاني في الاصطلاح النحوي العربي,كلية الآداب و الفنون و الانسانيات منوبة, دط,دت.

3-جورج لايكوف , النظرية المعاصرة للاستعارة , تر: طارق النعمان , مكتبة الاسكندرية , الاسكندرية مصر , دط , 2014.

4-جورج لايكوف و مارك جونسون,الاستعارات التي نحيا بها,تر:عبد المجيد جحفة,دار توبقال للنشر,ط2,2009.

5-زينايدابوبوفا و يوسف ستيرين , اللسانيات الإدراكية , تر: تحسين رزاق عزيز , منشورات بيت الحكمة , العراق , ط1, 2012.

6-عبد العالي العامري:

- الاستعارة التصورية و بناء المعنى في ضوء اللسانيات المعرفية,عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع,إربد الأردن,ط1, 2018.

- المسارات الفضائية في اللغة العربية, دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع, ط1, 1440هـ2019م.

7-عبد القاهر الجرجاني, أسرار البلاغة , قرأه و علّق عليه محمود محمد شاكر,شركة القدس للنشر و التوزيع,مطبعة المدني, جدة ,ط1, 1412هـ 1991م.

8-عبد الله صولة,المقوَلة في نظرية الطراز الأصليّة,حوليّات الجامعة التونسية,ع46,2002.

9-محي الدين محسب, الإدراكيات أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية, دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع, ط1 , 2017.

10-محمد الصالح البوعمراني:

-دراسات نظرية و تطبيقية في علم الدلالة العرفاني,مكتبة علاء الدين,تونس,ط1,2009.

-السيميائية العرفانيّة الاستعاري و الثقافي,مركز النشر الجامعي,تونس,دط,2015.

11-G.Fauconnier and M.Turner,The way we think,Conceptual Blending and the Mind's Hidden Complexities, Edition Basic Book,2002.

الهوامش:

* : من المصطلحات العديدة المرادفة لها : اللسانيات المعرفية/العرفانية/الإدراكية و غيرها من المصطلحات التي يمكن أن تصادف الباحث.

**:مصطلح يضم بين دفتيه جملة من المعارف التي تتفق في تناولها بالشرح و الوصف كل ما يتعلق بالقدرات الذهنية عمليات الذكاء و خصوصا منه الذكاء البشري كالفلسفة , اللسانيات, علم النفس , علم الأعصاب , المنطق , الذكاء الاصطناعي. (ينظر:توفيق قريرة, العرفاني في الاصطلاح النحوي العربي,كلية الآداب و الفنون و الانسانيات منوبة, دط,دت,ص9.)

[1]: زينايدابوبوفا و يوسف ستيرين , اللسانيات الإدراكية , تر: تحسين رزاق عزيز , منشورات بيت الحكمة , العراق , ط1, 2012,ص14.

[2]: مارك تورنر, مدخل في نظرية المزج(محاضرات كلية الآداب بمنوبة 2010), تر: الأزهر الزناد, المنشورات الجامعية بمنوبة, ط 1 , 2013,ص17.

[3]: ينظر: الأزهر الزناد, النص و الخطاب مباحث لسانية عَرْفنيّة, دار محمد علي للنشر, ط1, 2011, ص21.

[4]:ينظر:محي الدين محسب, الإدراكيات أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية, دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع, ط1 , 2017 , ص151 ص152.

***: هناك من يستعمل مصطلح الاستعارة المفهومية/ المفاهمية/ المعرفية/ العرفنيّة... وغيرها من المصطلحات,كما يمكننا تحديد نظريتين أساسيتين في التصور الغرفاني للاستعارة؛ يُطلق على الأولى اسم نظرية الإسقاط أو النظرية التصوريّة للاستعارة (Conceptual Metaphor Theory) و على الثانية اسم نظرية المزج التصوّري (Conceptual Integration Theory) هذه الأخيرة لصاحبيها جيل فوكينيي(G.Fauconnier)و مارك تيرنر(M.Turner) و هي نظرية تفسر آلية اشتغال الذّهن البشري فنظام تفكيرنا قائم على بناء الأفضية الذهنيّة و الربط بينها,و هي آلية عرفانيّة تحكم تفكير الانسان و تميّزه,فالتفكير ذاته هو دمج بين الفضاءات الذهنية؛و الفضاءات الذهنية كما يعرفها صاحبا نظرية المزج هي الخانات التّصوريّة الصّغرى التي من خلالها نستطيع أن نفكر و نتكلم, (ينظر: محمد الصالح

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

البوعمراني,السيميائيةالعرفانيّة الاستعاري و الثقافي,مركز النشر الجامعي,تونس,دط, 2015 ,ص1.و ينظر: G.Fauconnier and M.Turner,The way we think,Conceptual Blending and the Mind's Hidden Complexities,Edition Basic Book,2002,p11).

[5] : عبد العالي العامري,الاستعارة التصورية و بناء المعنى في ضوء اللسانيات المعرفية,عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع,إربد الأردن,ط1, 2018,ص29.

[6] : ينظر:المرجعنفسه,ص ص30.34.

[7]: الأزهر الزناد, نظريات لسانية عرفنية, دار محمد علي للنشر, منشورات الاختلاف, تونس, دط, 2009, ص142.

[8] : محمد الصالح البوعمراني,دراسات نظرية و تطبيقية في علم الدلالة العرفاني,مكتبة علاء الدين,تونس,ط1. 2009,ص124 ص 125.

[9] : المرجع نفسه,ص125.

[10]: ينظر: عبد العالي العامري,الاستعارة التصورية و بناء المعنى في ضوء اللسانيات المعرفية, ص ص 15 . 22.

[11]: ينظر :جورج لايكوف و مارك جونسون,الاستعارات التي نحيا بها,تر:عبد المجيد جحفة,دار توبقال للنشر,ط2, 2009 ,ص33.

[12]:ينظر:المرجعنفسه,ص 33. 34 .

[13] :المرجع نفسه,ص33.

[14] :المرجع نفسه,ص22.

[15] :ينظر: المرجع نفسه,ص26.

****:تعني المقولة وجود عدد من الأشياء تكون متماثلة Equivalents و تكون المقولات عادة موسومة بأسماء مثل:كلب,حيوان.و تتمثل المقْولة في أن نضع في خانة واحدة أشياء تجمع بينها روابط معيّنة,إنّالمقولة نشاط ذهني يكون في معظم الأحيان عن غير وَعْي منّا.فالانسان يكتسب المعرفةو ينظّمها بواسطة المقْولة و يفهم العالم و الناس و الأفكار بواسطتها أيضا و هو كلّما تراءى له شيء على هيئة شيء آخر عُدَّ ذلك منه مَقْولة(ينظر:عبد الله صولة,المقوَلة في نظرية الطراز الأصليّة,حوليّات الجامعة التونسية,ع46,2002,ص371.)

[16] :ينظر:المرجع نفسه,ص45.

[17] : عبد العالي العامري,الاستعارة التصورية و بناء المعنى في ضوء اللسانيات المعرفية,ص 41.

[18] :جورج لايكوف و مارك جونسون,الاستعارات التي نحيا بها,ص46.

[19] :المرجع نفسه,ص46.

[20]:عبد القاهر الجرجاني, أسرار البلاغة , قرأه و علّق عليه محمود محمد شاكر,شركة القدس للنشر و التوزيع,مطبعة المدني, جدة ,ط1, 1412هـ 1991م , ص30.

[21]: جورج لايكوف , النظرية المعاصرة للاستعارة , تر: طارق النعمان , مكتبة الاسكندرية , الاسكندرية مصر, دط , 2014, ص 7.

[22] :عبد القاهر الجرجاني,أسرار البلاغة,ص20.

[23] :المرجع نفسه,ص65.

[24] :المرجع نفسه,ص42.

[25] :المرجع نفسه,ص43.

[26] :المرجع نفسه,ص65.

[27]:المرجع نفسه,ص26.

[28]: عبد العالي العامري, المسارات الفضائية في اللغة العربية, دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع, ط1, 1440هـ2019م, ص 210.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)